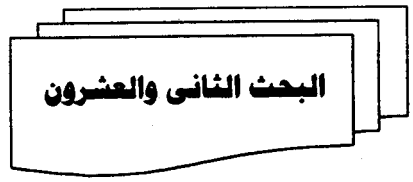

نماذج من البيان النبوى

دراسة بلاغية تحليلية

إعداد

د/ غالب محمد الشاويش

جامعة الحسين بن طلال

معان – الأردن

لجنة التحكيم

أ.د / أحمد عبد الجواد محمد عكاشة عضو اللجنة المحكمة

أ.د / يحيى محمد يحيى عضو اللجنة المحكمة

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله – محمد صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين وبعد:–

فإن الكتابة في بلاغة الحديث النبوي الشريف ، تحتاج إلى مزيد من الدقة والتأني والعناية؛ لأنة تترتب عليه أمور شرعية، وأحكام فقهية، وجوانب عقدية.

ولما كانت لدي الرغبة الملحة في الكتابة في البيان النبوي، آثرت أن أكتب في أحاديث مختارة ، يجمعها باب الزهد ، فهو طريق إلى القناعة،والاستغناء عما في أيدي الناس، فالقناعة كنز لا يفنى.

وهذه الأحاديث المختارة :–

– قوله عليه السلام : ((من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا)).

– وقوله عليه السلام : ((الدنيا سجن المؤمن ، وجنّة الكافر)).

– وقوله عليه السلام : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ))،

وكل حديث فيما سبق مخرّج في موضعه.

هذا ، وقد اتخذت المنهج التحليلي ، طريقا لدراسة هذه الأحاديث الثلاثة ، في ضوء نظرية النظم للشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) –رحمه الله– .

وفي الختام ، فإني أسال الله – عز وجل – أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وان يتقبله مني إنه سميع مجيب.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الأول

قال عليه الصلاة والسلام : (منْ أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) (١).

وفي رواية ابن ماجة : (منْ أصبح منكم، معافىً في جسده، آمناً في سربه، عنده قوتُ يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا) (٢).

ففي رواية الترمذي ، قدم الأمن في السّرب ، وفي رواية ابن ماجة، قدمت المعافاة في الجسد.

وسوف نقف على السّر البلاغي، في تقديم ((الأمن)) في الحديث الأول، وتقديم"المعافاة في الجسد". في الحديث الثاني فيما بعد.

هذا الحديث الشريف، موّجه إلى فئة من الصحابة – رضوان الله عليهم – . ولكنّه عام لجميع المسلمين، إذ وضح الرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث، النعم الثلاث، التي مَنْ ملكها. فقد حاز الدنيا بحذا فيرها وهي: نعمة الأمن في الوطن، ونعمة المعافاة في الجسد، ونعمة القوت اليومي. فهذه النعم الثلاث، تساوي الدنيا برمتها.

وهذه النعم عامة، ينتفع بها المؤمن ، وغيرُ المؤمن، فهي من النعم الدنيوية، ولا يستطيع أحدٌ من الناس، أن ينكر أن الدنيا، إنما هي عبارة عن هذه النعم الثلاث التي أشار إليها الحديث.

فهذا أحد الغربيين، قد شارك في الحرب العالمية الثانية، وقد غاصت سفينته في بحر اليابان، لمدة ثلاثة عشر يوماً. وعندما خرج سالماً، وجّه إليه سؤال : ما هي أعظم تجربة استفدتها من وجودك تحت الماء؟

فكان جوابه : تعلمت في هذه الأيام العصيبة ، أن من كان معافى، وعنده خبز وماء، فقد حاز ملك الدنيا (٣).

---

(١)الجامع الصحيح ، سن الترمذي ٤/٥٧٤ كتاب الزهد.

(٢) سنن ابن ماجة ٢/٤١٥، أبواب الزهد – باب القناعة.

(٣)انظر لا تحزن – د عائض القرني :٥٠٢.

لقد جاءت الصورة في الحديث الشريف ، صورة مركبّة ، وهذا ما يسمّى عند البلاغيين بالتشبيه التمثيلي، حيث شبهت حال الإنسان الذي يحوز على الأمن، والصحة ، والقوت اليومي في الحياة الدنيا ، بحال إنسان آخر ، يملك الدنيا بحذا فيرها.

ولو نظرنا في وجه الشبه، بين المشبه والمشبه به، لوجدنا أنّ الشيء القليل ، يغني عن الكثير في استقرار الحياة.

فوجه الشبه، مركب عقلي، حيث تدرك هذه الصورة عن طريق العقل، لاعن طريق الحواس.

والغرض من هذا التشبيه، هو إثارة الشعور والوجدان، بأهمية الزهد والقناعة في حياة الإنسان، وعدم الركون إلى الحياة الدنيا، بما فيها من ملذات ونعيم ، لأن نعيمها زائل لا يدوم، قال تعالى : " وما الحياة الدنيا إلاّمتاع الغرور" من آية : ٢٠ الحديد.

ووفاءً بدراسة الصورة في الحديث الشريف ، لابد من النظر في بلاغة الصور الجزئية ، التي كوّنت الصورة الكلية، لأنه لايمكن أن تكون الصورة الكلية ، بمعزل عن العلاقات اللغوية التي تشكل الجسد الواحد للصورة ، حيث تمنحها، قوة في المعنى ،ووضوحاً للفكرة، وجمالاً في لوحة التعبير فمن هذه الصور الجزئية ، قوله عليه السلام : – أولا – " منْ أصبح منكم آمناً في سربه".

لقد بدأ الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، حديثه باسم الموصول المشترك (مَنْ) الموّجه للعقلاء، وسمي بالمشترك، لكونه يستعمل بلفظ واحد مع المفرد، والمثنى، والجمع، ومع المذكر والمؤنث[1].

فالاسم الموصول عام ، يخص الأفراد ، والجماعات ، كما يخص الذكور والإناث.

وقد خوطب الجميع، باسم الفرد، بدليل اسم " أصبح" وهو الضمير الغائب المفرد تقديره ((هو)) ، يعود على اسم الموصول (مَنْ)، وهذا يدل على أهمية الفرد في المجتمع، فهو أساس المجتمع، ولولا الفرد، لما كان هنالك مجتمع.

---

(١) انظر جامع الدروس العربية : ١٣٢/١ وانظر المعجم المفصل في النحو العربي : ١٠٨٢/٢.

وهنا لطيفة بلاغية في استخدام اسم الموصول (مَنْ) في هذا السّياق. فهو يفيد الخصوص، وإرادة البعض ، ومعنى ذلك، أنّه لايمكن أن تجتمع هذه الأمور الثلاثة : الأمن ، والصّحة ، والقوت ، لجميع النّاس، بل إنها قد تجتمع للبعض منهم، دون الآخرين.

وهذا الاستخدام لاسم الموصول (مَنْ)، ملحوظٌ في كتاب الله عز وجل . قال تعالى : ((ومنهم منْ يستمعون إليك)) من الآية ٤٢/يونس.
وقوله تعالى : ((ومنهم مَنْ ينظر إليك.....)) من الآية ٤٣ يونس .

فالمراد من اسم الموصول ((مَنْ)) ، هو بعض مخصوص من المنافقين [١].
كما أنّ استخدام اسم الموصول (مَنْ) في هذا السياق، يراد منه الجنس. فهذا الاسم لايدل على شخص معين ، وإنما يدل على جنس . وكذلك يراد منه التشويق لمعرفة الخبر، وذلك عند إطالة الصّلة.

فالخبر قد جاء متأخراً، وهو قوله عليه السلام: (فكأنما حيزت له الدنيا).
والفعل ((أصبح)) ، جاء على وزن " أفعل" ، وهذا الوزن، يفيد الدخول في الشيء زماناً أو مكانا [٢] . وهنا يفيد الدخول في الزمان ، وهو وقت الصباح – أي أول النهار – أو وقت الفجر. [٣]

واختير وقت الصباح على وقت المساء، لكون الصباح فيه الحركة والنشاط ، والابتغاء من فضل الله.
قال تعالى : ((ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون)) آية : ٧٣/ القصص.

---

(١) انظرا الكليات :٨٣٧.
(٢) انظر المغني في تصريف الأفعال :١١١، وانظر دلالات الأفعال في علم التصريف :٩٠
(٣) انظر لسان العرب :٥٠٢/٢ مادة : صبح

وجاء الفعل أصبح بصيغة الماضي، وهو بمعنى الحال والمستقبل، أي من يصبح أو سيصبح، وذلك لتحقق وقوع هذه الأمور الثلاثة في وقت دخول الصباح، لبعض الناس وهي : الأمن ، والمعافاة ، والقوت اليومي.

((منكم)) :

ومن حرف جر،بمعنى البعض . فالمخاطبون جميعا لايمكن أن تتوافر لهم هذه المطالب الأساسية التي أشار إليها الحديث آنفا ، وإنما تتوافر للبعض منهم، وهنا يتناغم اسم الموصول (مَنْ) ، مع حرف الجر (مِنْ) من حيث المعنى .

فالأول اسم الموصول (مَنْ) ، يفيد الخصوص ، وإرادة البعض كما مر بنا سابقا ، وكذلك حرف الجر (مِنْ) يفيد التبعيض ، أي بعض المخاطبين ، وليس كلهم ، لأنه ليس من المعقول أن يملك جميع الناس ، الأمن والمعافاة، والقوت اليومي.

وانظر إلى تقديم الأمن في قوله عليه السلام، كما جاء في رواية الترمذي " آمنا في سربه" . حيث قدم الأمن على غيره من المنافع الدنيوية كالمعافاة والقوت. بينما في رواية ابن ماجة، قدمت المعافاة في الجسد، وهو قوله عليه السلام: ((من أصبح منكم معافىً في جسده)) فما السر في ذلك؟

لعل السر في تقديم ((الأمن)) ، في رواية الترمذي، يعود إلى حال المخاطبين، وطبيعة الظرف الذي كان يحيط بهم ، فربما كان " الأمن" هو هاجسهم ، وهو المقدم عندهم ، فلذا قدم " الأمن" في الحديث، لكي يتناسب مع ما يجول في خواطرهم ، وما يتمنونه في واقعهم، وهو حصولهم على الأمن.، لأن الأمن نعمة من نِعَم الله العظيمة التي يهبها الله – عز وجل- لمن يشاء من عباده. يقول عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه- : ((النعيم : الأمن والصحة)).(١)

أما تقديم المعافاة في الجسد في رواية ابن ماجة، فلعل الأمر أيضا، يعود إلى طبيعة الظروف التي كانت تحيط بالمخاطبين، فربما يكونون بحاجة إلى المعافاة، في الجسد لأنها ، أكثر من أي منفعة أخرى لهم، فهم ينظرون إلى المعافاة والعافية، بأنها هي الأساس في حياتهم، وهذا ما يريدونه ويتمنونه في الواقع، ولذا جاء تقديم المعافاة في الجسد في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم، بحسب رواية ابن ماجة. فعن وهب بن منبه أنه قال : ((مكتوب في حكمة آل داود : العافية الملك الخفي)).(٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم : ٢٢٩.

(٢) السابق : ٢٢٩.

وسواء أكان تقديم ((الأمن))، كما جاء في رواية الترمذي، أم تقديم ((المعافاة في الجسد))، كما جاء في رواية ابن ماجة، فإنّ التقديم لكلا الأمرين، مهم لحياة الإنسان في المجتمع، فلا أحد يستطيع أن ينكر لما للأمن، أو المعافاة من أهمية في حياة الفرد، فكلاهما مطلوب لاستقرار الحياة وازدهارها.

ولذا نرى تقديم (الأمن) ، في رواية الترمذي، روعي فيها، مصلحة الفرد والجماعة والوطن، بينما تقديم المعافاة في رواية ابن ماجة، روعي فيها مصلحة الفرد نفسه.

والأمن: ضدّه الخوف . قال تعالى : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) من الآية : ٨٣/ النساء.

ولأهمية الأمن في الحياة، نجد أنه قد ذكر في آيات متعددة من سور القرآن الكريم، على سبيل أنه عدّ من النّعم العظيمة، التي يمنّ الله بها على المؤمنين.

قال تعالى مخاطبا المسلمين في غزوة بدر : إذْ يغشّيكم النعاس أمنةً منه....)) من الآية : ١١/ الأنفال.

وقال تعالى مخاطباً المسلمين في غزوة أحد : ((ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً....) من الآية : ١٥٤ / آل عمران.

وكذلك منّ الله – سبحانه وتعالى – بهذه النعمة على قريش ، قال تعالى : (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) آية : ٤ / سورة قريش.

وهذا النبي إبراهيم – عليه السلام ، يتوجه بدعائه إلى الله – عز وجل – أن يجعل البيت الحرام آمنا ، حيث قدم الأمن على الرزق . قال تعالى : (وإذْ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمنا ، وارزق أهله من الثمرات منْ آمن منهم بالله واليوم الآخر ...) من الآية : ١٢٦ / البقرة.

وهناك فرق بين الأمن والأمنة في البيان القرآني [1].

فالأمن لا يكون إلا مع زوال أسباب الخوف، وهذا ملحوظ في كتاب الله عز وجل.

قال تعالى : (وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا) من الآية ٥٥/ النور.

حيث امتن الله – سبحانه وتعالى – على المؤمنين ، بأن أبدل خوفهم أمنا ، فالأمن هنا ، جاء بعد زوال أسباب الخوف.

---

(١) انظر لطائف قرآنية : ١٠٢ ، وانظر سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن ١٩٨:

أما (الأَمَنَة) ، ففيه طمأنينة، مع وجود أسباب الخوف، كما هو الشأن في غزوة بدر وأحد، حيث كانت أسباب الخوف موجودة، إلا أنّ الله – عز وجل – قد منحهم أمنا مؤقتا ، والذي يوحي بهذا المعنى ، هو توالي الحركات في كلمة (أَمَنَةً) حيث نلمح تسرب الأمن التدريجي إلى نفوس المؤمنين .

قال تعالى : (إذ يغشّيكم النّعاس أمنة منه).من الآية ١١ الأنفال.

فالأمن هنا مؤقت ، لأن أسباب الخوف ما زالت قائمة، لقد جاء التعبير النبوي، بصيغة اسم الفاعل (آمنا) ، وليس بصيغة المصدر مثل : أمنٌ ، أَمَنَة، أمَان.

والسر البلاغي في ذلك، هو أن اسم الفاعل ، يدل على وجه الحدوث لا الثبوت [1]. ومعنى ذلك أن الأمن من الصفات غير الثابتة، فقد تأتي فترة فيها أمن وآمان، ثم تعقبها فترة أخرى، يختل فيها الأمن، ويتضعضع فيها الآمان.

ولو جاء الأمن بصيغه المصدر، لأفاد الثبوت، ودل على استمرارية الأمن، وهذا خلاف المعهود، إذ إن الأمن من الصفات المتغيرة. ولذا جاء التعبير النبوي بصيغة اسم الفاعل، الدال على الحدوث، وليس بصيغة المصدر الدال على الثبوت.

وجاءت كلمة (الأمن) في البيان النبوي، نكرة (آمنا) ، وذلك للدلالة على التعظيم والمبالغة ، والنوعية. فهذه المعاني الثلاثة ، تحتملها هذه الكلمة ، وذلك لما لها من إيماءات متعددة، ومدلولات متنوعة.

فالأمن نعمة عظيمة، لا يقدر قيمتها إلا من فقدها. وكونها تفيد المبالغة، إذ إنّ المبالغة في الأمن ، من الأمور المحمودة، فهو يعين على جلب النفع، ودفع الضرر.

أما إفادة معنى النوعية ، فلأن (الأمن) يوحي بمعان متعددة ، وإيحاءات متنوعة[2] فكلمة (آمنا) في الحديث النبوي توحي:

- بإن يكون الإنسان آمنا من نَصَب الحروب. (الأمن الحربي).
- أن يكون آمنا من القحط والجدب (الأمن الغذائي).
- أن يكون آمنا من مكر الأعداء وخداعهم (الأمن السياسي).
- أن يكون آمنا من الآفات بأنواعها : كالزلازل والبراكين والفيضانات والأعاصير والكوارث، والخسف والمسخ، وكذلك من الآفات الحيوانية، والفيروسات) التي تنقل الأمراض المختلفة (الأمن الصحي والوقائي والبيئي).

---

(١) انظر جامع الدروس العربية: ١٨٢/١ وانظر معاني الأبنية في العربية :٤٦.

(٢) انظر التفسير الكبير : ٤٨/٢، وانظر تفسير التحرير والتنوير : ٧٠٩/١.

- أن يكون آمنا في إقامة الحدود الشرعية ، فالأخذ على أيدي الظلمة والفسقة، والانتصاف من الجناة ، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، كل ذلك أمن. (الآمن الاجتماعي).
- أن يكون (آمنا) في بلده، وذلك عن طريق حراسة الحدود، ومراقبة الداخلين إليه، حتى يحفظ من عبث المفسدين، ومن عمل الأشرار الحاقدين. ((الأمن الحدودي)).
- أن يكون ((آمنا)) في طريقه، وذلك من حيث الحماية له ، أثناء سيره على الطريق. من اللصوص ، وقطاع الطرق ، كما توضح له الطريق ،مع إنارتها ووضع الإرشادات المرورية في مكانها المناسب ((الأمن الطرقي)).[1]
- أن يكون آمنا على نفسيته ، بمعنى أن لا يقع عليه ظلم من قبل أفراد المجتمع ، أو الحكومة ، بل الواجب عليهما أن يرفعا الظلم عنه فورا (الأمن النفسي).
- أن يكون آمنا على حريته الدينية ، والفكرية ، وفق الضوابط الشرعية التي أقرها الدين الإسلامي ، (الأمن الروحي، والفكري).

فالأمن إذن بمعناه الواسع، هو حفظ الأفراد والجماعات والوطن، من جميع الأضرار بأنواعها.

فالأمن مطلب شرعي وعقلي، فهو يبدأ من الإنسان نفسه، وينتهي بأمن الأمة تحت مظلة الشريعة والعدل.

وانظر إلى اختيار كلمة (سربه) في البيان النبوي، وهو قوله عليه السلام: (آمنا في سربه)، حيث جاءت هذه الكلمة ، مصورة للمعنى المقصود على أكمل وجه، فقد جاء عن جماعة من أهل اللغة، أن كلمة السّرب، تعني النفس، وتعني القلب، كما تعني أهل الرجل وولده وماله، وكذلك تعني قومه [2].

وهذه الكلمة ((سرب)) كانت في الأصل ، تستخدم لقطيع البقر، والظّباء، والقطا، والفحل، والنساء، والراعي، حيث يقال : الراعي آمن في سربه، والفحل آمن في سربه ... وهكذا، ثم استعمل هذا اللفظ في غير الرّعاة، فيقال : هو آمن في سربه، أي في قومه ، أو هو آمن في أهله وولده، وماله، أو هو آمن في نفسه وقلبه، وذلك من باب الاستعارة، فيما شبه به[3].

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير : ١-٧٠٩.

(٢) انظر لسان العرب: ٤٦٣/١ مادة أمن.

(٣) السابق : ٤٦٣/١.

فهذه الكلمة (سرب) استعيرت من قطيع البقر والظّباء والقطا، والراعي .... إلخ، إلى أهل الرجل وولده وماله ونفسه وقلبه.

ومعنى ذلك أنّ (السّرب) قد استعير للجماعة من الناس . فهنا شبهت الجماعة من الناس أو الفريق منهم، بالسرب، من القطا أو البقر والظّبا ، بجامع الاجتماع والألفة والطمأنينة في كل منهما.

فالمشبه به ، مصّرح به في النص ، وهذا يسمى في الصنعة البلاغية بالاستعارة التصريحية.

ولو نظرنا في مقاطع الكلمة الصوتية ، لوجدنا أنها تمثل حقيقة السرب من الجماعة من الناس. فالسين : من صفته الرقة والضعف [1]. وهاتان الصفتان ، توحيان بمعنى أن السرب من الجماعة، ينبغي أن يكون أفراده متصفين بالرقة والضعف – أي اللين – ، حتى يتحقق التآلف والتآخي بين أفراد السّرب الواحد.

وصفة الرّقة واللين ، محمودة إذا كانت في حق المؤمنين. قال تعالى : (أذلّةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين) من آية : ٥٤/ المائدة.

وحرف الرّاء ، من صفته التكرار[2]، وهذا يتناسب مع حقيقة السّرب من الجماعة. فهذه الكلمة (السرب) لا تطلق بهذا المفهوم، إلا إذا انتظم الأفراد في جماعة واحدة، مع تكرار تجمعهم ولقاءاتهم، مثلهم في ذلك، كمثل انتظام سرب القطا، أو سرب الظّباء، وما أشبه ذلك، في سرب واحد.

وأما حرف الباء، فهو مجهور شديد مرقق [3]. ومعنى ذلك، أن أفراد السّرب، ينبغي عليهم أن يكونوا أشداء أقوياء على غيرهم، أرقاء رحماء فيما بينهم قال تعالى : (محمد رسولُ الله والذين معه، أشداءُ على الكفّار، رحماءُ بينهم) من آية : ٢٩/ الفتح.

---

(١) انظر أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج : ٦٦.

(٢) السابق : ٦٦.

(٣) السابق: ٦٥

وهكذا يعمل جرس الكلمة، على تصوير المعنى لكلمة السّرب.

- وأما الصورة الجزئية الثانية في الحديث النبوي الشريف، فهي قوله عليه السلام : (معافى في جسده) ، حيث جاءت هذه النعمة في المرتبة الثانية، بعد نعمة الأمن التي مَر ذكرها.

والذي يلحظ أن (معَافى) ، قد جاءت بصيغة اسم المفعول، فهو مشتق من الفعل المجهول (عوفي) فحدث المعافاة وقع ، ولكن ليس على وجه الثبوت، لأن الإنسان لايمكن أن تلازمة صفة العافية، فهو يتنقل ما بين العافية حينا، والمرض حينا آخر.

ثم نجد أن الذي كان له تأثير في فعل العافية في الجسد، لم يسم فاعله. والسّر في ذلك، حتى يذهب الذهن في تصّور الفاعل (السبب) من هو ؟

فالعافية من الله – سبحانه وتعالى – ، فهو الشافي . قال تعالى : (وإذا مرضت فهو يشفين) من آية ٨٠/ الشعراء.

ولكن الله جعل للعافية أسبابا ، يجب على الإنسان أن يأخذ بها ، حتى يعافى ويشافى بإذن الله.

فمن هذه الأسباب التي قد تجول في خاطر القارىء: –

أولا– هل يعود سبب العافية إلى الحمية ، والاقتصاد في الأكل والشرب ، نظرا لقوله عليه السلام : (ماملأ آدميّ وعاءً شّراً من بطنٍ)[1]؟

ثانيا– أم أنه يعود إلى الالتزام بأخذ الأدوية والعقاقير بحسب إرشادات الطبيب؟

ثالثا – أم أنه يعود إلى هداوة البال والفكر، وعدم اللهث وراء مطالب الدنيا، وتدريب النفس على الزهد والقناعة، والرضا بما قسّم الله للإنسان في الحياة الدنيا؟ فهكذا – يذهب الفكر، في تصور سبب العافية.

---

(١) سنن ابن ماجة : ٢/٢٤٩ أبواب الأطعمة (٤٩).

وقد كان البيان النبوي، دقيقا في استخدام كلمة (معافى) – بدلا من (صحيحا) في جسده ، أو سليماً)، أو، غير ذلك من الألفاظ القريبة لها في المعنى ، لأنها تفيد معنى الصحة في الجسد.

فكلمة ((معافى)) تتضمن معنى العافية والمعافاة. فمعناها إذن ، أوسع وأشمل من مضمون معنى تلك الألفاظ.

فالعافية معناها : أن الله سجانه وتعالى – يعافيه من سقْم أو بَليّة ، وهذا هو مفهوم الصحة، وضدها المرض أما المعافاة فمعناها : أن الله عز وجل ، يعافيك من الناس، ويعافيهم منك ، اي ان المقصود من ذلك، أن الله يغنيك عنهم، ويغنيهم عنك، وأن يصرف أذاهم عنك، وآذاك عنهم.

فمدلول الكلمة، لم يعد متعلقا بصحة الجسد فقط، بل تعدى الأمر، إلى ما هو أهم من ذلك، وهو الاستغناء عما في أيدي الناس، وكف أذاهم عنك.

وهكذا تحمل كلمة (معافى) في طياتها : النعمة الحسّية. وهي المعافاة في الجسد ، والنعمة المعنوية، وهي الاستغناء عن حاجة الناس، وكف آذاهم : حسّياً ومعنوياً. (١)

وهنا يرد سؤال مفاده، لم كانت المعافاة في الجسد، وليست في الجسم أو في البدن؟

أليست هذه الألفاظ : الجسد ، الجسم، البدن، بمعنى واحد ؟ أم أنّ هناك فرقاً في المعنى بين هذه الألفاظ؟

الواقع أنّ القرآن الكريم في استعماله لهذين اللفظين : الجسد والجسم، قد فرق بينهما .

فكلمة ((الجسد)) قد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في أربعة مواضع مرتبة بحسب ترتيب السور في القرآن الكريم.

أولا– قوله تعالى : ((واتخذ قومُ موسى من بعده من حليّهم عِجْلا جسداً له خوارٌ ألم يَرَوْا أنّه لا يُكلمهم ولا يَهديهم ...)) الأعراف / بعض آية : ١٤٨.

ثانياً – وقوله تعالى : ((فأخْرجَ لهم عِجْلا جَسدًا له خوار ...)) سورة طه / بعض آية : ٨٨.

ثالثا – وقوله تعالى : ((وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين)) سورة الأنبياء ، آية :٨.

---

(١) انظر لسان العرب : ٧٢/١٥ ، وانظر فروق اللغات :١٦٩.

رابعا – وقوله تعالى : ((ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرْسيّه جَسدًا ثم أناب)) سورة ص ، الآية : ٣٤.

ولو نظرنا في المواضع التي جاءت فيها كلمة ((الجسد)) في الأيات السابقة ، لوجدنا أن كلمة ((الجسد)) في أية سورة الأعراف ، وآية سورة طه، وآية سورة ((ص))، تدل على الجسم الذي لا روح فيه ، و لاحركة و لانشاط.

فعجل قوم موسى جماد ((تمثال)) ، لا روح فيه ولا حياة، ولذا جاءت كلمة ((الجسد)) في السياق ، وكذلك ابن النبي سليمان -عليه السلام- في الآية السابقة من سورة ((ص)) ، إذ جاء بشق رَجل، أي ولد ميتا مشوّها.[1]

فإطلاق كلمة ((الجسد)) على ذلك المولود الميّت، هي الكلمة المعّبرة في سياق الآية.

يتبين مما سبق ، أن كلمة ((جسد)) في الآيات السابقة ، تدل على عدم وجود الروح فيه.

يقول ابن الإنباري عند شرح قوله تعالى في سورة الأعراف: ((... عِجْلا جسداً له خوار...)) ما نصه : ((ذكرُ الجسد، دلالة على عدم الروح فيه))[2]

وهذا ابن عاشور ، يذهب إلى ما ذهب إليه ابن الإنباري ، حيث يقول في الجسد : ((الجسد : الجسم الذي لاحياة فيه ، وهو يرادف الجثّة . هذا قول المحققين من أئمة اللغة مثل أبي إسحاق الزجاج في تفسير قوله تعالى: ((... فأخرج لهم عِجْلا جسداً...))[3]

أما ورود كلمة (الجسد) في سورة الأنبياء وهو قوله تعالى : ((وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ، وما كانوا خالدين)) ، فالمعنى مختلف تماما عمّا ورد في الآيات السابقة : في آية الأعراف ، وطه، وآية سورة ((ص)).

فكلمة ((الجسد)) هنا في الآية ،وردت في سياق النفي ، وهو قوله تعالى : ((وما جعلناهم جسدًا)) ثم جاء بعد هذا النفي ، نفي آخر ، وهو قوله تعالى : ((لا يأكلون الطعام)).

ومن سنن العرب . إذا جاء بين الكلامين بجحدين – أي بنفيين – كان الكلام إخبارا.

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير : ٢٣/٢٦٠، وانظر لطائف قرآنية: ٨٩.

(٢) تفسير البحر المحيط : ٤/٣٩٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير : ١٧/١٩،وانظر معاني القرآن وإعرابة للزجاج :٢/٣٧٧ عند تفسير قولة تعالى : ((واتخذ قوم موسى من بعده من حليهمْ عِجْلاًجَسدًا له خوار ...)) الأعراف : من الآية :١٤٨.

فقوله تعالى: ((وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام)) يصبح معنى الآية هكذا : وما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام . أو : إنما جعلناهم جسدًا، ليأكلوا الطعام ، وهذا القول ، منقول عن المبرد وثعلب [1].

وهذا يدل على أن ذوي الأجساد يأكلون الطعام[2]، وما داموا كذلك ، فهم إذن ، ذوو أرواح ، وحركة وحياة.

هذا ، وقد ذكر أبو السعود في تفسيره للآية السابقة ما نصه : ((والمعنى جعلناهم أجسادًا متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة ، على حسب آجالهم، لا ملائكة ، ولا أجسادًا مستغنية عن الأغذية، مصونة عن التحلل كالملائكة ، فلم يكن لها خلود كخلودهم...)[3]

ومن هنا نستطيع القول ، إن القرآن الكريم استخدم كلمة ((الجسد)) بمعنيين:

الأول : الجسد : بمعنى الجسم الذي لا روح فيه ، ولا حركة ، كعجل قوم موسى ، وكابن النبي سليمان – عليه السلام– الذي ولد ميّتا مشوّها ، كما مر بنا سابقا.

الثاني: الجسد بمعنى الجسم ، الذي فيه روح وحركة ونشاط، كما ورد في سورة الأنبياء : ((وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام ، وما كانوا خالدين)).

والذي يعزز مجيء الجسد ، بمعنى الجسم الذي فيه روح وحياة وحركة ، هو ما ورد من أحاديث عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، فمن ذلك قوله عليه السلام:

أولا – ((لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم))[4].

ثانيا – وقوله عليه السلام : ((إنّ لزوجك عليك حقّاً ،ولزورك عليك حقا ، ولجسدك عليك حقا))[5] وفي رواية : ((ولولدك عليك حقا)) ، بدلا من ((ولزورك عليك حقا)).

وزورك : جمع زائر ، والمقصود : الأصحاب الزائرون ، لهم حقّ عليك.

ثالثا – وقوله عليه السلام : ((... ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت ، صلح الجسد كله ، وإذا فسدت ، فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب))[6].

---

(١) انظر تهذيب اللغة : ٥٦٦/١٠ مادة : جسد ، وانظر لسان العرب ١٢٠/٣ مادة : جسد.

(٢) انظر تهذيب اللغة : ٥٦٧/١٠ مادة : جسد ، وانظر لسان العرب : ١٢٠/٣ مادة : جسد.

(٣) تفسير أبي السعود : ٥٧/٦.

(٤) سنن ابن ماجة : ٣٢٠/١ ، أبواب ما جاء في الصيام.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : ٤٢/٨ كتاب الصيام

(٦) سنن ابن ماجة : ٣١٩/١ أبواب ما جاء في الصيام ، باب :٤٣

رابعاً - وقوله عليه السلام : ((... إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى))[1].

و كما أطلقت كلمة ((الجسد)) على الجسم الذي فيه روح وحياة ، فكذلك تطلق على الجسم الذي خرجت منه الروح، والدليل على ذلك قول الرسول - عيه السلام: ((إنّ الله حرّم على الأرض ، أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام))[2].

وقوله عليه السلام : ((إن الله عز وجل ، حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام ، فنبي الله حيّ يرزق))[3].

وكذلك ورد في حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه- الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن أهل الجنة قالوا لربهم: ((قالوا نسألك أن تردّ أرواحنا في أجسادنا إلى الدنيا ، حتى نقتل في سبيلك ، فلما رأى أنهم لا يسألون إلا ذلك ، تركوا))[4].

فإذن كلمة ((الجسد)) ، تطلق على الجسم الذي فيه روح و حياة ، كما تطلق أيضا ، على الجسم الذي خرجت منه الروح.

أما ((الجسم)) فقد وردت مرتين في القرآن الكريم.

قال تعالى عن طالوت ملك بني إسرائيل : ((إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسْطةً في العلم والجسم) آية ٢٤٧/ البقرة.

فالآية تتحدث عن ملك حي - وهو طالوت - والآيات التي جاءت بعدها لا تشير إلى قتله أو موته . فالجسم إذن فيه حياة وروح وحركة.

أما الآية الأخرى ، فهي قوله تعالى عن المنافقين الذين يهتمون بالشكل دون المضمون : (وإذا رأيتهم ' تعجبك أجسامهم وإنْ يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندّة) آية : ٤/ المنافقون.

فالآية تتحدث عن منافقين أحياء، يقولون ويتكلمون وهذا دليل على حياتهم ، ثم إن الله سبحانة وتعالى في آخر الآية، حذر نبيه منهم ، والتحذير عادة يكون من الأحياء ، لا من الأموات.

---

(١) صحيح مسلم : ١٩٩٩/٤ كتاب البر والصلة والأدب ، باب :١٧ وعمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ١٠٦/٢٢، باب الأدب (باب رحمة الناس بالبهائم).

(٢) سنن ابن ماجة : ١٩٥/١ أبواب إقامة الصلاة ، باب :٧٩.

(٣) السابق : ٣٠٠/١ أبواب ما جاء في الجنائز ، باب :٦٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٣/١٣ باب الإمارة، وسنن ابن ماجة : ١٣٧/٢، أبواب الجهاد ، باب : ١٦

وقد ورد في الحديث الشريف ، ما يشير إلى إطلاق كلمة ((الجسم)) على الكائن الحي الذي فيه روح ، وهو قوله عليه السلام لرجل : ((فمالي أرى جسمك ناحلا))[1].

وهكذا يتبين أن كلمة ((جسد)) أعم من كلمة ((جسم)) ، فالأولى تطلق على الجسم الذي فيه روح وحياة ، وعلى الجسم الذي خرجت منه روحه .

أما الثانية (الجسم) ، فتطلق على الجسم الذي فيه روح وحياة وحركة ، سواء أكان انسانا، أم حيوانا.

أما (البدن)، فقد ورد ذكره مرة واحدة في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى في نجاة فرعون ببدنه : (فاليوم ننجيك ببدنك ، لتكون لمنْ خلفك آيةً ، وإنّ كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) آية : ٩٢/ يونس.

ولو بحثنا عن كلمة ((البدن)) عند أهل اللغة ، لوجدنا أن أبا هلال العسكري يقول : ((إنّ البدن هو ما علا من جسد الإنسان))[2].

بينما يقول نور الدين الجزائري ، إن البدن هو الجسد ما سوى الرأس [3]

وللتوفيق بين الرأيين ، نستطيع القول : إن البدن هو الجسد ، باستثناء الرأس والأطراف من الجسد .[4]

فهذا هو مفهوم البدن عند اللغويين.

ومن المعلوم أن فرعون قد نجا بجميع بدنه، نجا برأسه وأطرافه، وبقية جسده، وهذا يخالف معنى البدن عند أهل اللغة الذين استثنوا الرأس والأطراف من الجسد، وأطلقوا على ما تبقى منه ، اسم البدن.

ومما يعزز أن كلمة (البدن) ، تدل على جميع أعضاء جسد الإنسان بدون استثناء، بما فيه الرأس والأطراف كما تدل أيضا، على جسد الإنسان الذي فيه روح وحياة وحركة ، هو ما ورد في الحديث الشريف.

---

(١) سنن ابن ماجة : ٣١٩/١ أبواب ما جاء في الصيام ، باب : ٤٣

(٢) انظر الفروق اللغوية : ١٢٢.

(٣) انظر فروق اللغات : ٧٠.

(٤) انظر الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق : ١٩٣

قال الرسول – عليه السلام– : ((مثلُ الجليس الصالح ، والجليس السّوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يُعدَمك من صاحب المسك . إما تشتريه ، أو تجِدُ ريحَه، وكير الحداد يحْرق بدنَك، أو ثوبك ، أو تجد منه ريحاً خبيثة))[1].

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري بإسناده عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه قال : ((أن ناساً اجتوَوْا في المدينة ، فأمرهم النبي – صلى الله عليه وسلم– أن يلحقوا براعيه ، يَعني الإبلَ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها فلحقوا براعيه ، فشربوا من ألبانها وأبوالها، حتى صَلَحَتْ أبدانهم ، فقتلوا الراعي ، وساقوا الإبل، فبلغ النبي – عليه السلام– ، فبعث في طلبهم ، فجيء بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَر أعينهم))[2]كان ذلك قبل نزول الحدود.

وكذلك في الحديث الذي أخرجه أبو داود ، بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه يأبت إني أسمعك تدعو كلّ غداة : ((اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت)) تعيدها ثلاثا حين تصبح ، وثلاثا حين تمسي فقال : إني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو بهن ، فأنا أحب أن استن بسنته[3].

ففي قوله عليه السلام : ((يحرق بدنك)).

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري بإسناده عن أنسن بن مالك – رضي الله عنهما– (حتى صلحت أبدانهم)

وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة– رضي الله عنهما – ((اللهم عافني في بدني)).

كل ذلك ، يشير إلى أن كلمة البدن ، تدل على جسد الإنسان الذي فيه روح وحياة، كما تدل أيضا على جميع أعضاء جسد الإنسان بدون استثناء.

من جانب آخر، أن كلمة (البدن) تأتي بمعنى ((الدرع)).

---

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ٢٢٠/١١، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك ، حديث رقم :٥٣.

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ٢٣٥/٢١ رقم :٩ باب طب ٦.

(٣) سنن أبي داود : ٣٢٤/٤ ، كتاب الأدب ، رقم ٥٠٩٠.

يقول أبو حيان في قوله تعالى: ((بدنك)) ، ((بدرعك))[1]

وهذا القول يعززه قول الراغب الأصفهاني في قوله تعالى : ((فاليوم ننجيك ببدنك)) أي بجسدك وقيل : يعني بدرعك . فقد يسّمى الدرع بدنة، لكونها على البدن، كما يسّمى موضع اليد من القميص يد، وموضع الظهر والبطن ، ظهرا وبطنا»[2].

كما ذكر أبو هلال العسكري، أن البدن بمعنى الدرع القصير الذي يلبس إلى السرّة ، لأنها تقع على البدن [3].

وجاء في بعض كتب التفسير أيضا، أن البدن بمعنى الدرع القصير[4].

وقد نقل عن ابن عباس قوله: ((كان عليه درع من ذهب، يعرف بها، فأخرجه الله من الماء ، مع ذلك الدرع ليعرف))[5].

فمما سبق ، يتبين أن كلمة ((البدن)) ، توحي بمعنيين:

الأول : تطلق كلمة ((البدن)) على جسد الإنسان سواءٌ أكان فيه روح وحياة ، أم لم يكن فيه روح وحياة.

الثاني : تطلق على الدرع القصيرة.

إذا ، فكلمة ((بدن)) في الآية ((فاليوم ننجيك ببدنك...)) تتضمن المعنيين معاً. أي إنّ فرعون قد نجا بجميع بدنه، كما أنه نجا بدرعه.

---

(١) البحر المحيط : ١٨٨/٥.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٣٧ مادة بدن.

(٣) انظر الفروق اللغوية :١٢٢.

(٤) انظر التفسير الكبير :٢٩٧/٦، وانظر غرائب القرآن في رغائب الفرقان : ١١ /١١٣، وانظر الكشاف:٢٥٢/٢ ، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١٤٢/٣ ، وانظر تفسير القرآن العظيم :٥٦٧/٢.

(٥) التفسير الكبير :٢٩٧/٦

فتنجيته ببدنه آيه من آيات الله، لأن الغريق إذا طفا بدنه فوق الماء معجزة ، فكيف إذا طفا، وهو لا بس درع ذهبي ؟ إنها معجزة أخرى لسيدنا موسى عليه السلام.

فالأصل أن يغوص فرعون في قاع البحر، لا أن يطفو فوق ماء البحر.

يقول الرازي : ((إنّ صحّ هذا، فقد كان ذلك معجزة لموسى عليه السلام)) [1] .

لقد ذكر المبرد [2] ، أن معنى قوله تعالى : ((ننجيك ببدنك ليس بمعنى نخلصك ، ولكن المعنى ، نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك ، بدرعك ، وهذا المعنى يدل عليه قوله تعالى : ((لتكون لمن خلفك آية...)).

إن نجاة فرعون ببدنه دون روحه، من باب التندر والاستهزاء ، فكأنه قيل : إنّ النجاة تحصل لبدنك لا لروحك ، وهذا شبيه لقولنا لإنسان : إن عتقك لا يكون إلا بعد الموت ، وخلاصك من السجن ، لا يكون إلا بعد أن تموت [3].

إن العلة في إطلاق كلمة البدن على الدرع القصيرة ، هي لكونها مجاورة للبدن . ففي الكلمة مجاز مرسل ، علاقته المجاورة.

أو لكونها محل ، فالدرع محلها البدن . ففي الكلمة مجاز مرسل ، علاقته المحلية.

نخلص من هذا كلّه ، أنّ كلمة ((الجسم)) تطلق على الجسد الذي فيه روح وحياة وحركة .

وأنّ كلمة ((الجسد)) عامّة ، تطلق على الجسد الذي فيه روح وحياة ، وعلى الجسد الذي خرجت منه روحه.

وأنّ كلمة ((البدن))، تطلق على الجسد الذي فيه روح وحياة ، كما تطلق على الجسد ، الذي خرجت منه روحه.

لقد جاءت كلمة ((الجسد)) في حديث رسول الله -صلى الله وعليه وسلم- ((معافى في جسده)) في مكانها المناسب ، لأن كلمة الجسد عامة، تطلق على الجسد الذي فيه روح وحياه ، وعلى الجسد الذي خرجت منه الروح.

---

(١) التفسير الكبير : ٢٩٨/٦، وانظر غرائب القرآن في رغائب الفرقان : ١١٣/١١.

(٢) انظر الكامل في اللغة والأدب : ٣٩٣/٢.

(٣) انظر التفسير الكبير : ٢٩٧/٦، وانظر غرائب القرآن في رغائب الفرقان : ١١٣/١١.

والذي دعاني إلى هذه التفرقة بين الألفاظ : الجسد، الجسم، البدن، هو أني رأيت بعض الباحثين قد فرقوا بين الجسد والجسم من خلال القرآن الكريم، حيث توصلوا إلى أن الجسد والروح لا يجتمعان . فالجسد يطلق على جسد الإنسان الذي فارق الحياة، كما يطلق على الجماد[1].

وهذا المفهوم الذي توصلوا إليه، يصطدم مع أحاديث الرسول – عليه السلام– حيث وردت كلمة الجسد في الأحاديث السابقة بمعنى الجسد الذي فيه روح وحياة وحركة.

لقد فسر الدكتور صلاح الخالدي كلمة ((جسدا)) في قوله تعالى : ((وما جعلناهم جسدا...)). بمعنى الجسم لكونها جاءت في سياق النفي، حيث يقول : ((إن الأنبياء كانوا رجالا أحياء، ذوي أجسام متحركة، ولم يكونوا ((أجسادا)) هامدة... من هذا نعلم أن كلمة ((جسد)) في السياق القرآني، وردت صفة للجماد وللميت، ونفيت عن النبي الحي المتحرك))[2].

وكذلك فسر الدكتور محمد نور الدين المنجد ((جسدا)) في قوله تعالى : ((وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام)) بمعنى الجسد الذي لا روح فيه بناء على نفي التغذية عن الجسد حيث يقول : ((فنفي التغذية عن الجسد، دليل على أنه جماد لا روح فيه))[3].

وقد مر بنا سابقا ، تفسير المبرد وثعلب[4] لهذه الآية حيث قالا: يصبح معنى الآية : وما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام أو : إنما جعلناهم جسدا ليأكلوا الطعام.

وهذا يدل على أن ذوي الأجساد يأكلون الطعام [5]

وهكذا يتبين أن كلمة الجسد، تطلق على الجسد الذي فيه روح، وعلى الجسد الذي ليس فيه روح.

---

(١)انظر الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق :١٩٧ ، وانظر لطائف قرآنية :٨٩.

(٢)لطائف قرآنية :٨٩.

(٣)الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق :١٩٦.

(٤)انظرا ص ١٢من البحث.

(٥)انظر تهذيب اللغة :٥٦٧/١٠مادة : جسد ، وانظر لسان العرب :١٢٠/٣ مادة جسد

وأما الصورة الجزئية الثالثة ، فهي قوله عليه السلام : (عنده قوت يومه) ، حيث جاءت هذه النعمة في المرتبة الثالثة بعد نعمتي : الأمن والمعافاة في الجسد.

والقوت : مصدر للفعل : قات ، وهو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام[1] أو هو ما يمسك الرّمق من الرزق [2]

وإذا كان القوت هو الطعام، فإنه من المفهوم ضمنا ، أنه كذلك يشمل الماء، لأنه لاقيمة للطعام، إذا لم يكن هناك ماء، إذ إنّ الإنسان لا يستطيع أن يصبر كثيرا عن الماء لفترة طويلة.

وجاءت كلمة (قوت) نكرة ، للدلالة على التقليل، أي إن كمية الطعام قليلة ، حيث إنها لا تكفي إلا لليوم الذي هو فيه.

وجاء التعبير النبوي ، بكلمة (قوت) ، دون كلمة (طعام)، فلم يقل مثلا – عليه الصلاة والسلام – : (وعنده طعام يومه). لأن كلمة الطعام ، توحي بالشيء الكثير . فهو أقل ما يكون نصف صاع. يقول الكفوي : (كل طعام في القرآن ، فهو نصف صاع) [3] ونصف الصاع بالنسبة للقوت شيء كثير.

فلو قيل : (عنده طعام يومه)، لأ صبح هذا الطعام ، يكفيه أكثر من يومه، وهذا خلاف المقصود من قوله عليه السلام : ((قوت يومه)).

كما أن كلمة (الطعام) ، تشمل المشروب أيضا يقول الكفوي : (والطعام قد يقع على المشروب) [4]

وهو يستشهد على ذلك ، بقوله تعالى : ((ومنْ لم يطعمه فإنه مني) من آية : ٢٤٩ / البقرة.

---

(١) انظر لسان العرب : ٧٤/٢ مادة : قوت ، وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٣٠١/٤.

(٢) انظر لسان العرب : ٧٤/٢.

(٣)الكليات : ٥٨.

(٤) السابق :٥٨٥.

والطعام : اسم جامع لكل ما يؤكل ، وقد ورد عن ابن الأثير ، أن الطعام عام ، فكل ما يقتاته الإنسان فهو طعام [1].

لقد جاء البيان النبوي، باستخدام الظرف (عنده) مضافا إلى الضمير الذي يعود على اسم الموصول (منْ) دون استخدام الظرف (لديه) ، كأن يقال: (لديه قوت يومه) ، فما السر في ذلك ؟

من المعروف في الصنعة النحوية، أن الظرفين : (عند) و(لدى) ، صالحان للمكان وللزمان، وأن معناهما يدل على شدة القرب[2] إلا أن السر في استخدام الظرف (عند) دون (لدى) يعود إلى أمرين:

الأول – أن الظرف (عند) يفيد معنى الملك في هذا السياق، أي إن هذا القوت اليومي يملكه، بخلاف الظرف (لديه) الذي لا يفيد هذا المعنى، بل يفيد معنى أن القوت عنده ، ولكنه لا يملكه. بل يملكه غيره.

الثاني – أنّ الظرف (عند) ، يستخدم للشيء إذا كان حاضراً أمامك ، أو غائبا[3]. فهذا القوت قد يكون موجودا عند الإنسان في بيته في هذه اللحظة، أو قد سيملكه بعد قليل، حيث لا يتعدى اليوم الذي هو فيه. فالقوت على آية حال موجود ، سواء أكان موجوداً الآن ، أم أنه سيكون موجودا بعد قليل .

أما الظرف (لدى) فلا يستخدم إلا لما هو موجود عندك فعلا الآن.

فلا يقال "لدي قوت" ، إلا إذا كان القوت موجودا ، حاضراً أمامك.

والفرق واضح بين المعنيين.

وإضافة (القوت) لليوم ، تفيد أن القوت لا يكفيه إلا ليوم واحد فقط. فالإضافة هنا بمعنى اللام ، فكأن العبارة تصبح هكذا : عنده قوت ليومه)).

وقد يستقل المسلم ، أنه يملك قوت يومه فقط، فماذا تراه يفعل في بقية الأيام القادمة؟

أليست المعيشة، هي التي قد تشكل عنده الهمّ الأكبر، والهاجس الأمني الأعظم؟

أليست المعيشة في بعض الأحيان، هي التي تضغط على المسلم، في أن يتنازل عن بعض ثوابته، وقيمه، ومبادئه، وأخلاقه؟

---

(١)انظر لسان العرب : ٣٦٣/١٢، ٣٦٤ ، مادة : طعم.

(٢)انظر أزاهير الفصحى في دقائق اللغة :٣٤٥

(٣)انظر جامع الدروس العربية : ٥٧/٣، وانظر أزاهير الفصحى في دقائق اللغة : ٣٤٤، ٣٤٥

إن الرسول – صلى الله عليه وسلم، يدرك هاجس الأمن المعيشي، وأثره في حياة الفرد والمجتمع، ولذا كان – عليه السلام – يحث المسلم على أن يكون قنوعاً زاهدا في عيشه، لأن القناعة، هي التي تجعل المؤمن ، عزيزا في الدنيا ،عزيزا في الآخرة. وَمَنْ كانت هذه صفته أحبه الله وأحبه الناس. لقوله عليه السلام : ((ازهد في الدنيا ، يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك) [١].

وكذلك كان عليه الصلاة والسلام ، يدعو ربه، أن يكون رزقه قوتا : ((اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا))[٢] والقوت : ما يسد الرمق من الطعام.

فهو عليه السلام ، يضرب المثل للمسلمين، حتى يكونوا قنوعين في هذه الحياة الدنيا، زاهدين في نعيمها، الذي لا يدوم.

هذه الصور الجزئية الثلاثة في البيان النبوي وهي :-

١. من أصبح منكم آمنا في سربه.
٢. معافى في جسده.
٣. عنده قوت يومه.

قد جاءت بأسلوب الفصل ، بمعنى أن هذه الجمل لم ترتبط بحرف العطف الواو، والسر في ذلك، هو أن هذه الصفات متعلقة بموصوف واحد، وهو اسم الموصول (مَنْ)، ومن هنا حسن الفصل بين هذه الجمل.

ثم ننظر إلى جمال التقسيم في البيان النبوي، حيث استوفى المعنى جميع أنواعه، دون أن يخرج جنس من أجناسه. فالحديث يعدد نعما دنوية للإنسان ، وهذه النعم هي :

الأمن في السرب، والمعافاة في الجسد، والقوت في المعاش ، فهل هناك قسم رابع يحتاجه الإنسان؟

الجواب : لا

فإذن القسمة صحيحة ، حيث استوفى المعنى جميع أقسامه ، وهذا قمة البيان النبوي.

---

(١) سنن ابن ماجة: ٤٠٧/٢، أبواب الزهد.

(٢) السابق : ٤١٥/٢ أبواب الزهد.

وقد يخطر في البال، أين نعمة (الإيمان) من بين هذه النعم الثلاث؟ أليس الإيمان، هو أساس هذه النعم جميعا؟ أليس الرسول – صلى الله عليه وسلم القائل لسفيان بن عبدالله الثقفي عندما طلب من الرسول – عليه السلام. أن يقول له قولا في الإسلام ، لا يسأل عنه أحدا؟

فكان جواب الرسول له : ((قل آمنت بالله فاستقم)) [1] فقد قدم الإيمان على كل شيء ، تحتمله كلمة الاستقامة.

فهناك الاستقامة في الدين، والاستقامة في العقيدة، والاستقامة في العبادات، والاستقامة في المعاملات ..... إلخ.

إن السبب في عدم ذكر نعمة الإيمان، مع هذه النعم الثلاث التي سبق ذكرها ، هو لكونه متعلقا بالحياة الدنيا، والحياة الآخرة، فالإيمان نعمة دنيوية،ونعمة أخروية، ولهذا السبب، لم يذكر مع النعم الدنيوية الثلاث، لأنها خاصة في الدنيا فقط.

ثم جاء التقسيم مبنيا على الجمع، والمقصود بالجمع، هو أن يجمع المتكلم، بين أشياء متعددة في حكم واحد[2].

فالرسول – صلى الله عليه وسلم- قد جمع الأمن في السرب، والمعافاة في الجسد، والقوت اليومي، في حكم واحد، ألا وهو حيازة الدنيا، وامتلاكها جميعا.

والغرض من هذا الجمع، هو بيان أنّ الدنيا، ما هي إلا أمْنٌ ، ومعافاةٌ، وقوت يومي. فمن ملك هذه الأشياء، فقد ملك الدنيا بحذافيرها.

فكأني بهذا الحديث الشريف، يقول للمسلم: عليك ألاّ تعطي الدنيا أكبر من حجمها ، فهي لا تستحق كلّ هذا الهم الذي يشغلك، ويسيطر على تفكيرك، ويستحوذ على عقلك ، أما سمعت الرسول- صلى الله عليه وسلم يقول : ((منْ جعل الهموم همّا واحداً ، همّ المعاد، كفاه اللهُ همّ دنياه ، ومنْ تشعّبت به الهمومُ أحوال الدنيا، لم يبالِ اللهُ في أيّ أوديته هلك)[3].

---

(١)صحيح مسلم : ٦٥/١ ، كتاب الإيمان رقم الحديث ٦٢ باب ١٣ جامع أوصاف الإسلام ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : رئاسة إدارات البحوث العلمية ، والإفتاء والدعوة واللإرشاد- الرياض – السعودية ، ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م ، وانظر سنن ابن ماجة:٣٧٣/٢.

(٢) انظر الإيضاح في علوم البلاغة : ٥٠٥.

(٣) سنن ابن ماجة : ٤٠٨/٢ أبواب الزهد ، باب (٢).

وبالنظر في صورة المشبه به في قوله عليه السلام : (فكأنما حيزت له الدنيا) ، نجد أن الصورة قد بدأت بحرف التشبيه (كأنّ)، حيث يليها المشبه، وهو الإنسان الذي يتمثل في اسم الموصول (مَنْ)، الذي حاز على الأمن ، والمعافاة في الجسد، والقوت اليومي فقد شبهت حالته، بحالة منْ ، حاز على الدنيا.

والسر في اختيار حرف التشبيه (كأن) ، هو أنه يفيد المبالغة في توكيد التشبيه[1]، فهو من أقوى أدوات التشبيه وآكدها، فهو لا يستعمل إلا إذا كان التشبيه صادقاً مجزوما به، حتى ليخيل للسامع ، أن المشبه هو عين المشبه به. فلما كان المراد من الحديث، هو تحقيق التشابه ما بين المشبه والمشبه به ، استخدم البيان النبوي حرف التشبيه" كأن" ، لأنه من أقوى أدوات التشبيه، على إلحاق المشبه بالمشبه به.

وجاء الفعل "حيزت" ، مبنيا للمجهول، لأن "الفاعل" ، ليس مهماً أن يذكر في هذا السياق من سيكون؟ ولكن المهم. هو ما يحصل عليه الفاعل أيا كان جنسه " فالدنيا" هي التي يسعى إليها كثير من الناس، ولذا جاء البيان النبوي، ليؤكد للفاعل المجهول، أن الدنيا ، قد حيزت له.

كما أن الفعل "حيزت" ،هو المستخدم في البيان النبوي، وليس الفعل " جمعت" القريب له في المعنى، لأن الفعل " حيزتْ" ، يتميز بمقاطعه السريعة ، التي تدل على اختصار الزمن للوصول إلى حيازة الدنيا.فكلمة " حيزتْ" ، مكونة من مقطعين أحدهما:

"حِيْ" ، وهو مقطع طويل مفتوح ، والآخر : " زتْ"وهو مقطع طويل مقفل، وكلاهما يفيد السرعة، واختصار الزمن عند النطق بهما.

أما الفعل " جمِعتْ" ، فهو يتميز ، بمقطعين قصيرين هما : " جـ ْ مِـ " ، ومقطع طويل مقفل هو : عَتْ.

وهذان المقطعان القصيران ، يؤثران على معنى الفعل، حيث يظهر بطء الزمن ، عند النطق بهذين المقطعين القصيرين، فلا تكاد تصل إلى المقطع الطويل المقفل " عتْ" إلا بعد زمن طويل بالنسبة لزمن الفعل " حيزتْ".

---

(١) انظر الخصائص : ٣١٧/١، وانظر الجنى الداني في حروف المعاني : ٥٧٠.

وهذا يعني أن عامل الزمن في الفعل " جمعتْ" يحتاج إلى مدة أطول ، وهذا مخالف لرغبة الإنسان الذي يريد الحصول على الدنيا ، بسرعة زمنية أكثر. إن الذي يحقق رغبته في اختصار الزمن، والوصول إلى الدنيا بسرعة، هو الفعل " حيزتْ" وليس الفعل " جمعتْ".

كما أن حرف " الحاء" ، في " حيزتْ" يتميز بصفة الهمس والرّخاوة والرقّة [1]، وهذا يعني أن الشخص الذي حيزت له الدنيا، لايجد معاناة كبيرة في الحصول عليها، بل هي ميسرة له برفق وسهولة ، وهذا من توفيق الله عز وجل له.

أما حرف " الجيم" في " جمعتْ" ، فهو يتميز بصفة الشدة والجهر والقوة [2]، وهذا يعني أن الإنسان الذي " جمعتْ" له الدنيا" ، يجد معاناة كبيرة في الحصول عليها، والوصول إليها.

وفرق كبير بين الحصول على الدنيا ، بيسر وسهولة، وبين الحصول عليها، بعسر وشدة.

وقد جاء البيان النبوي ، بتقديم الجار والمجرور في قوله عليه السلام : " له الدنيا" ، ولم يأت بعبارة " الدنيا له" وذلك لإفادة أمرين :

الأول : تعجيل المسّرة للمسلم ، فهو قد حاز على الدينا ، ومن حاز الدنيا ، فقد دخل السرور والفرح إلى قلبه.

الثاني : إفادة القصر ، أي إن الدنيا ، قد أصبحت مقصورة عليه فقط ، وهذا من باب التوكيد والتكريم للمسلم ، فالدنيا مقصور ، والجار والمجرور (له) : مقصور عليه ، فهو من باب قصر الصفة على الموصوف.

وجاءت " الدنيا" في البيان النبوي ، صفة لموصوف محذوف تقديره : " الحياة الدنيا" ، فالصفة حلّت محل الموصوف المحذوف ، فهي من حيث المعنى ، هي الموصوف [3]، ولذا تقوم مقام الموصوف على استكراه [4]، كما أنها تفيد التخصيص والبيان ، إذا كان موصوفها معرفة [5]، ونادرا ما يذكر معها موصوفها

---

(١) انظر أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج : ٦٥.

(٢) السابق : ٦٥.

(٣) أنظر أسرار العربية : ٢٩٤.

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن: ٤٥٣/٢.

(٥) انظر أسرار العربية : ٢٩٣ ، وانظر البرهان في علوم القرآن :٤٥٣/٢

وقد سميت " الدنيا" بهذا الاسم لدنوها ، والدنيا تقابل الآخرة ، وهي اسم لهذه الحياة ، وذلك لبعد الآخرة عنها[1].

وإذا كانت الصنعة النحوية ، تجيز أن تقوم الصفة (الدنيا) ، مقام الموصوف (الحياة) ، فإن الصنعة البلاغية، تبحث عن موطن الجمال في هذه الإنابة، وسّرها البلاغي.

لقد جاء البيان النبوي بذكر صفة (الدنيا) ، دون ذكر لموصوفها وهو (الحياة) ، وذلك للتركيز على الصفة وهي (الدنيا) التي توحي بالدنو حكماً ، وما تحمل هذه الكلمة من معانٍ ، مثل : الحقارة ، والدناءة، والصغار ، والرذيلة ... وما إلى ذلك ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أنّ الموصوف قد حذف في البيان النبوي – على الرغم من دلالة السياق عليه ، طلبا للإيجاز والاختصار.

فقول الرسول – عليه السلام – " حيزت له الدنيا" ، أوجز وأخصر بكثير من قولنا : " حيزت له الحياة الدنيا".

فالفعل " حيزت" ، فيه ملحظ السرعة عند النطق به، كما وضحنا ذلك من قبل ، وكذلك حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فيه ملحظ السرعة، لأنه مبني على الإيجاز والاختصار.

وهكذا يتناغم الفعل " حيزت" مع الصفة التي قامت مقام الموصوف ، من حيث اختصار عامل الزمن، حتى يتمكن الإنسان من الحصول على الدنيا بسرعة ، لأنه متلهّف لها ، يريد أن يصل إليها ، من أقرب طريق ، وهذا غاية ما يريده ويطمح إليه.

هذه الدنيا التي يتكالب الناس عليها ، كم تساوي في ميزان الله بالنسبة لحياة الآخرة؟

يقول عليه السلام : " ما مثلُ الدنيا في الآخرة ، إلا مثلُ ما يجعْل أحدكم إصبعه في اليمّ ، فلينظرْ بما يرجع" [2].

---

(١) انظر لسان العرب : ٢٧٢/١٤ مادة دنا.

(٢) سنن ابن ماجة: ٤٠٩/٢ أبواب الزهد.

وهكذا نجد أن البيان النبوي ، يرغّب في الزهد، ويحث على القناعة، فالحصول على القليل من الدنيا ، مع توافر الأمن ، والمعافاة في الجسد، والحصول على القوت اليومي، فكأنما الإنسان قد حاز على الدنيا وما فيها.

وهذا لايعني أن الإنسان يرضى بالفقر ، ويقنع به ، ولا يعمل في هذه الحياة لطلب الرزق الحلال، بل عليه أن يبذل ما في وسعه ، وأن يجتهد قدر استطاعته في سبيل الحصول على العيش الكريم ، تحت مظلة الضوابط الشرعية ، سواء لطلبه المال ، أو لبذله في وجوه الخير المختلفة .
فمما يروى عن خريم المري، أن سأله رجل ، فيم تكون النعمة ؟ فأجاب : ((النعمة في الأمن ، فليس لخائف عيش ، والنعمة في الغنى ، فليس لفقير عيش ، والنعمة في الصحة ، فليس لسقيم عيش ، فقيل له : ثم ماذا؟ فقال خريم : لامزيد بعد هذا))[1].

لله ما أتعس الدنيا ! إن أقبلت من جانب ، أدبرت من جانب آخر ، فإن أقبل المال ، مرض الجسم ، وإن عوفي الجسم ، نزلت المصائب، وإن صلحت أحوال الإنسان واستقرت ، جاءه الموت[2] .
وهكذا تضافرت الصور الجزئية في البيان النبوي ، لتكون صورة كلية ، يتألق فيها التشبيه التمثيلي.

---

(١)الأجوبة المسكتة : ١٠٨/١.
(٢)انظر لاتحزن : ٣٤٢.

الحديث الثاني

عن أبي هريرة- رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
((الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر)) (١).

يقدم الحديث النبوي الشريف للقارئ، صورة تشبيهيّة رائعة من خلال الحديث عن نموذجين من البشر:

أحدهما : المؤمن . والآخر : الكافر.

وهذه الصورة التشبيهية، مبنية على المقابلة، أي مقابلة اثنين باثنين من الأضداد ، فالسجن يقابل الجنة، لأن المقابلة تجوز بالأضداد وبغير الأضداد.

فالسجن قيد، وضده الإطلاق وليس الجنّة.

ولكن لما كان السجن مكانا للعذاب الجسدي والنفسي، وكانت الجنّة مكاناً للنعيم، صلحت الضدية من هذا الوجه.

والمؤمن ضده الكافر. فبضدها تتمايز الأشياء.

بدأ الحديث الشريف بكلمة (الدنيا) ، وهي صفة- جرت مجرى الأسماء – لموصوف محذوف، تقديره (الحياة) ، أي (الحياة الدنيا).

ولعل السّر البلاغي في حذف الموصوف ((الحياة)) ، يعود لعدة أمور منها :-

أولا – الإيجاز والاختصار. فذكر (الدنيا) أوجز من قولنا : (الحياة الدنيا).

ثانياً – دلالة المفهوم على المحذوف ، فقد يرد الموصوف ظاهراً، كما في قوله تعالى : ((أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة)) من الآية : ٣٨ /التوبة.

ثالثاً- جاء الحذف للموصوف، وإبقاء الصفة، (الدنيا) ، للدلالة على حقارة الدنيا وتفاهتها، فهي لا تستحق أن يذكر معها الموصوف(الحياة)، لأنها ليست (بالحياة) بالنسبة لحياة الآخرة، لذا ذكرت ((الدنيا)) في الحديث، مجردة من كلمة((الحياة)).

ففرق شاسع بين نعيم الحياتين: حياة الدنيا، وحياة الآخرة ، فالأولى فانية، والثانية باقية.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ٩٣/١٨، كتاب الزهد

رابعا – للتناسب الصوتي، والتوازن بين الجملتين في الحديث الشريف.

فلو قيل : ((الحياة الدنيا سجن المؤمن)) ، لطالت هذه الجملة عن العبارة الثانية وهي : ((وجنّة الكافر)).

وهنا يحدث خللا صوتيا، ناهيك عن عدم التناسب والتوازن بين العبارتين، وهذا ما ينأى عنه أسلوب الحديث.

وأما التعريف في ((الدنيا)) فهو للعهد العلمي أو الحضوري، بمعنى أن صورة الدنيا، حاضرة في ذهن السامع أو المخاطب، حضوراً كاملا، كما لا يغيب عن باله أنها تقابل الآخرة.

ولو نظرنا في تركيب جملتي الحديث، لوجدنا أن المسند إليه (الدنيا)، جاء ثابتا، بينما المسند، جاء متغيّراً. فمرة : (سجن المؤمن)، ومرة : (جنّة الكافر)، وبينها اختلاف كبير، (فسجن المؤمن) يختلف عن (جنّة الكافر)، فالإخبار عن الدنيا بالإضافة، (سجن المؤمن) ، و (جنّة الكافر) يفيد أن نعيم الحياة الدنيا، موازنة مع نعيم الآخرة.ـ بالنسبة للمؤمن – كأنها سجن . وأن الدنيا– بالنسبة للكافر – ، موازنة مع عذاب الآخرة، كأنها جنّة.

ومما يجلّي هذه الفكرة ويوضحها، أن الحافظ ابن حجر العسقلاني – رضي الله عنه – (– ٨٢٥ هـ)، مَر بالسوق في موكب عظيم، فهجم عليه يهودي، أثوابه ملطخة بالزيت الحار ، وهو في غاية البشاعة والرثاثة ، فأمسك بلجام بغلته قائلا : يا شيخ الإسلام ! تزعم أن نبيكم قال : ((الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر))، أي سجن أنت فيه؟ وأي جنّة أنا فيها؟

فقال ابن حجر لليهودي : أنا بالنسبة لما أعده الله لي في الآخرة من النعيم ، كأني الآن في سجن.

وأما بالنسبة لك ، فما أعده الله لك في الآخرة من العذاب الشديد، كأنك في جنّة، فأسلم اليهودي.[1]

هذا الحديث الشريف ، من باب التشبيه البليغ الذي جاء في إطار التشبيه الجمعي.

فإذا أخذنا صورة التشبيه باعتبار الطرفين: مشبه ومشبه به ، كان من التشبيه البليغ.

فقوله عليه السلام : ((الدنيا سجن المؤمن ، وجنّة الكافر)) أي ((الدنيا جنة الكافر)).

فالمشبه في الجملة الأولى : (الدنيا).

---

(١) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد :١٠٧.

والمشبه به : سجن المؤمن .

وفي الجملة الثانية :المشبه : الدنيا ، والمشبه به : جنّة الكافر.

والتشبيه البليغ ، هو ما حذف منه أداة التشبيه، ووجه الشبه، وسّره البلاغي ، إفادته التوكيد والمبالغة في الصفة ، بمعنى أن المشبه (الدنيا)، قد اقترب قربا شديدا من المشبه به : (سجن المؤمن) ، (جنّة الكافر).

لذا يعد التشبيه البليغ ، من أعلى درجات التشبيه بلاغة ومبالغة ، لكونه – يحذف منه الأداة ، ووجه الشبه.

والغرض من هذا التشبيه البليغ، هو ذم وتحقير المشبه (الدنيا) بالنسبة للمؤمن (الدنيا سجن المؤمن).

أما بالنسبة للكافر، فالغرض من التشبيه البليغ، هو تزيين (المشبه) وتجميله (الدنيا جنة الكافر) حتى يبقى معلقا بالدنيا ،لأنها هي جنته.

أما إذا أخذنا صورة التشبيه باعتبار تعدد المشبه به ، فإنه سيكون من التشبيه الجمعي، وهو عند البلاغيين: [1].

أن يكون المشبه واحداً ، والمشبه به متعدداً ، فقوله عليه السلام : ((الدنيا سجن المؤمن . وجنّة الكافر) ، تشبيه جمعي.

فالمشبه : الدنيا ، والمشبهان به : سجن المؤمن ، وجنّة الكافر.

فالمشبه شبه بمشبهين به .

فلو نظرنا إلى المشبه به في الحالتين ، لوجدنا اختلافا واضحا في إلحاق المشبه بالمشبه به.

ففي الحالة الأولى : شبه الرسول – صلى الله عليه وسلم – الدنيا مرّة بالسجن بالنسبة للمؤمن ، ومرة بالجنّة بالنسبة للكافر، وبين التشبيهين اختلاف كبير.

فالمؤمن مسجون في الدنيا عن نعيم الآخرة ، والكافر يحظى بنعيم الجنة في الدنيا، ولكنه سيؤول – رغم أنفه –إلى سجن الآخرة حيث ينتظره العذاب الأليم.

بقي أمر آخر . وهو أن التعبير في الحديث ، جاء بالجملة الاسمية . (الدنيا سجن المؤمن) ، (وجنّة الكافر).

---

(١) انظر شروح التلخيص / عروس الأفراح : ٣/٤٣٠، وانظر الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٧٠ ، وانظر المفصل في علوم البلاغة العربية :٣٦٨ .

والسر البلاغي في ذلك ، هو أن الجملة الاسمية تفيد الثبوت، وتفيد الاستمرار بالقرائن . ومعنى ذلك ، أن المؤمن ثابت ومستمر على فكرته بأن الدنيا سجن له، تمنعه عن نعيم الجنة ، وكذلك الكافر أيضا ، هو ثابت ومستمر على فكرته بأن الدنيا جنة له .

وتشبيه الدنيا بالسجن ، يوحي بالسجن المعروف المحاط بالجدران العالية ، والأسلاك الشائكة ، والأبواب الكبيرة الضخمة المغلقة . فهذه الدنيا ، على الرغم من اتساعها ، وكثرة خيراتها ، أصبحت في هذا الحديث الشريف ، مجسمة لها جدران محدودة بالمكان والزمان .فالمؤمن يعيش في هذا السجن الكبير المتسع (الدنيا) ، ولكنه بعد عمر محدود ، سيفارقه _رغم أنفه_ إلى نعيم مقيم _بإذن الله_.

أما الكافر فإنه سيغادر جنته في الدنيا _رغم أنفه_ إلى سجنه الكبير ، جهنم وبئس المصير.

وقد جاء تقديم سجن المؤمن ، على جنة الكافر ، من باب حث المؤمنين ، على التنفير من الدنيا ، والتحذير منها ، وعدم الركون إليها ، فعليهم أن ينفروا من الدنيا ، كنفورهم من السجن المعروف ، لأن سجن الدنيا ، يعيقهم عن نعيم عظيم ، وخير عميم ينتظرهم في الحياة الآخرة .

ثم جاء أسلوب الوصل بالواو ، بين جملتي الحديث . فالجملة الأولى : (الدنيا سجن المؤمن) خبرية . والجملة الثانية : (وجنة الكافر) خبرية .

فالجملتان متفقتان من حيث الخبرية ، وبينهما صلة جامعة في المعنى ، لذا حسن الوصل بين الجملتين .

والسر في هذا الوصل ، هو بيان الضدية بين نظرتين مختلفتين في أمر الدنيا ، فالمؤمن يراها سجنا ، والكافر يراها جنة ، وشتان ما بين النظرتين !

الحديث الثالث

عن ابن عبّاس – رضي الله عنهما – قال : قال النبي – صلى الله عليه وسلم– : ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النّاس : الصحة والفراغ))[1].

الغَبْنُ : بتسكين الباء ، يكون في البيع، والغَبَنُ : بتحريك الباء، يكون في الرأي [2] فالغَبنُ في البيع : هو الشراء بثمن غال مرتفع عن مقدار السلعة المعتاد، أو البيع بثمن رخيص جدا.

فكلاهما غَبْن للإنسان ، أي خسارة في البيع أو الشراء، وأما الغَبَنُ في الرأي ، فيكون في ضعف الرأي ونقصه.

– لقد بدأ الحديث الشريف بالنكرة المثناة ((نعمتان)) الموصوفة بالغبن ، وذلك لسرٍ بلاغي عظيم ، ألا وهو التشويق والتعظيم، فأما التشويق ، فلأن السامع، يتطلع بشوق عظيم لمعرفة هاتين النعمتين اللتين ذكرهما الحديث، وأما التعظيم ، فلأن النكرة في هذا السياق، تفيد معنى التعظيم. فأي شيءٍ أعظم من نعمتي الصحة والفراغ عند الإنسان ، بعد نعمة الإيمان بالله – عز وجل– ؟

وهذه النكرة المثناة ((نعمتان)) . مفردها نعمة ، وهي اسم هيئة ، على وزن ((فِعْلَة)) ، يقول الراغب الأصفهاني : ((وبناءُ النّعمة ، بناءُ الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجِلْسة.....))[3]ومعنى كون ((النعمة)) اسم هيئة ، لأنها تشير إلى بيان الحالة أو الصفة، التي يكون عليها الإنسان . وهو يتقلب في نعم الله – عز وجل –.

يقول الرازي :((النعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير))[4].والنعمة : اسم جنس ، تطلق على النعم القليلة، والنعم الكثيرة ، وهي تعني : المسّرة ، والخفض في العيش ، والدّعة فيه [5] ، وضدها : البأساء.

وقد جاء إطلاق اسم ((نعمة)) في القرآن الكريم ، على نعم الدنيا الظاهرة والباطنة ، لقوله ، تعالى : ((..... وأسبغ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً .....)) [6]

---

(١) صحيح البخاري : ١٧٠/٧ ، كتاب الرّقاق: ٨١، المكتبة الإسلامي – استانبول – تركيا ، ١٩٧٩/.

(٢) انظر: لسان العرب : ١٣/ ٣٠٩ مادة : غَبَن.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٥٢٠.

(٤) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ٣١/٣٢.

(٥) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد : ٩٧٣ ، مادة (نعم) وانظر لسان العرب : ٥٧٩/١٢ مادة نعم.

(٦) سورة لقمان : جزء من آية : ٢

وقد مثل فخر الدين الرازي[1] ، تمثيلا رائعاً للنعم الظاهرة والباطنة، ومنها : العين ، والآذن ، والأنف ، واللسان . فهذه الأعضاء ظاهرة ، وهي مكونة من لحم وعظم وغضروف، ولكنها في الوقت نفسه، تحتوي على نعمة باطنة ، تجعل العين تبصر، والأذن تسمع، والأنف يشم، واللسان يتحرك ويتذوق . فلو قدر الله – عز وجل – لأن تزول النعم الباطنة ، وبقيت النعم الظاهرة لوجدت العين قائمة ، ولكنها لا تبصر، والأذن موجودة ، ولكنها لاتسمع .... وهكذا فما ينطبق عليهما ، ينطبق على بقية الأعضاء في جسم الإنسان.

وقد نقل عن ابن عباس – رضي الله عنهما– ، أن النعم الظاهرة هي الإسلام، والنّعم الباطنة، هي ستر الذنوب[2]، وتقديم المسند إليه ((نعمتان)) – وهو المبتدأ الأول– في الحديث الشريف، للدلالة على التفاؤل، والتشويق، والرّضى والتعظيم . فالكلمة موحية ، بمعنى حسن الحال، وطيب العيش وخفضه، وخبره جملة : ((كثير من الناس مغبون فيهما)).

فأسلوب الحديث جاء بالجملة الاسمية – وهو قوله عليه السلام– ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس)) ، وهي تفيد الثبوت والدوام ، والاستمرار بالقرائن، ومعنى ذلك ، أنّ الغبن دائم ومستمر لهاتين النعمتين : الصحة والفراغ، ما دامت حياة الإنسان موجودة على الأرض.

لقد أشار الحديث الشريف إلى نعمتين دنيويتين هما : الصحة والفراغ ، لكن لم يذكر نعمة الإيمان ، على الرّغم من أهميتها ، ولكونها الأصل في باب النعّم، ولعل السّر في ذلك، يرجع إلى أمرين:

الأول – أن الحديث موجه للناس : ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس))، وكلمة ((النّاس)) عامة، تشمل المؤمن ، وغير المؤمن. فالمؤمن يتمتع بنعمة الصحة والفراغ ، وكذلك غير المؤمن ، يتمتع بنعمة الصحة والفراغ، إلا أن المؤمن، يؤجر عليهما، ويثاب إذا استغلهما لطاعة الله، بنية حسنة ، أمّا غير المؤمن، فلا يؤجر ولا يثاب عليهما لعدم إيمانه بربه، فالأصل هو الإيمان ، والعمل والنية، تبعان له.

---

(١)انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٢٤/٩

(٢)لسان العرب: ٥٨١/١٢ مادة نعم.

الثاني- إن نعمة الإيمان، حاصلة بالمفهوم لا بالمنطوق، بالنسبة للمؤمن، فهي نعمة مطلقة، وهي أول نعمة على العبد المؤمن ، أما غير المؤمن ، فلا يعد الإيمان نعمة بالنسبة إليه، فنعمتا : الصحة والفراغ، وغيرهما من النّعم ، معتبرة ومقدمة على نعمة الإيمان بالنسبة لغير المؤمن، ولذا جاء التعبير البياني للحديث بعدم ذكر ((نعمة الإيمان))، وذلك لكون هذه النعمة غير مشتركة بين المؤمن والكافر، أما الصحة والفراغ، فهما نعمتان مشتركتان بين المؤمن وغيره، فهما للناس كافة.

وفي قوله عيه السلام : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس))، وقوله : ((الصحة والفراغ)) ، أسلوب إطناب، والإطناب في اللغة : المبالغة في الشيء [1]، وفي اصطلاح البلاغيين هو ((تأدية المعنى بلفظ زائد لفائدة))[2]، وأما الغرض الذي خرج إليه أسلوب الإطناب في هذا الحديث، فهو((التوشيع)) ، وهو نوع من الإيضاح بعد الإبهام ، وقوله عليه السلام: ((نعمتان ....)) المعنى فيه مبهم ، غير واضح. فالسامع يترقب توضيح هاتين النعمتين اللتين غبن فيهما كثير من الناس ، فيأتي التفصيل والإيضاح في نهاية جملة الحديث : ((الصحة والفراغ))، فالمعنى هنا ، ظهر بصورتين مختلفتين : الأولى : مجملة مبهمة ، والثانية : مفصّلة موضحة.

والسّر البلاغي في هذا النوع من الإطناب – أي التوشيع- ، هو تهيئة السامع وتشويقه لمعرفة تفصيل المعنى بعد إبهامه من جهة ، ولتمكين المعنى وتقويته في ذهنه من جهة أخرى والتوشيع في اللغة ، هو ((لفّ، القطن بعد النّدْف))[3]، واصطلاحاً : هو أن يؤْتى في أول الكلام ، أو في عجزه، بمثنى أو بجمع، مفسّر باسمين ، أو أكثر، ثانيهما معطوف على الأول ، وثالثهما معطوف على الثاني[4].

فقوله عليه السلام : ((نعمتان)) ، مثنى جاء في أول الكلام ، وهو مبهم، وهذا المثنى فسّر باسمين وهو قوله عليه السلام : ((الصحة والفراغ)) حيث جاء الاسم الثاني (والفراغ) ، معطوفا على الاسم الأول ، وهو ((الصحة)) ، وهذا هو معنى التوشيع.

---

(١) المعجم الوسيط : ٥٦٧/٢ مادة طنب ، وانظر عروس الأفراح/ شروح التلخيص :١٦٠/٣.

(٢) انظر شروح التلخيص / عروس الأفراح:١٧٠/٣ ، وانظر البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني : ٤٨١.

(٣) لسان العرب : ٣٩٤/٨ مادة : وشع.

(٤) انظر : عروس الأفراح / شروح التخليص : ٢١٦/٣، وانظر البلاغة فنونها وأفنانها ، علم المعاني :٣٧٦، ٣٧٧ وانظر تحرير التحبير:٣١٦.

لقد قدمت نعمة ((الصحة)) على نعمة ((الفراغ))، لأن الصحة هي الأصل في تَفعيل الفراغ، ولولاها لما كان هناك فراغ يشغله الإنسان، فالفراغ وجوده مرتبط بالصحة لا بالمرض، إذ لا وجود للفراغ مع المرض ، وأنّى لإنسان مريض، يشغل وقت فراغه؟

فالصحة ضدها السّقم ، والفراغ ضده الشغل، وهاتان النعمتان ، خصهما الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالذكر لأهميتهما في حياة الإنسان، فالصحة لا تدوم، والفراغ كذلك لا يدوم ، لأن الصحة يعقبها السّقم، والفراغ يعقبه الشغل، فالإنسان العاقل من يحرص على فراغه ، كحرص البخيل على أمواله وممتلكاته، فالفراغ يعني : ((الحياة)) ، ((الوقت)) ، ((الزمن)) ، ((العمر)) ، وقديما قال الحكماء: إنّ الواجبات أكثر من الأوقات ، فالوقت هو حياة الإنسان وعمره.

لقد طلب الرسول – عليه السلام- من المسلم أن يغتنم وقت صحته وفراغه ، لقوله عليه السلام[1] : ((اغتنم خمساً قبل خمس، شبابَك قبل هَرَمِك، وصحتَك قبل سَقَمِك، وغِناكَ قبل فقْرك، وفراغَك قبل شغْلِكَ، وحياتَكَ قبل موتِك)).

كما أن الفراغ مفسدة للإنسان، إن لم يحسن الاستفادة منه.

يقول الشاعر أبو العتاهية [2] :

إنّ الشباب والفراغ والجِدَةَ مفسدة" للعقل أيّ مفسده

وفي الحديث ، صورة مجازية رائعة ، تتمثل في تشبيه الصحة والفراغ بالتجارة، بجامع الربح والخسارة في كل منها، إن لم يحسن التصرف فيها. حذف المشبه به، وهو ((التجارة))، وبقي شيء من لوازمه وهو ((الغبن)) على سبيل الاستعارة المكنية، وإسناد ((الغبن)) إلى نعمتي : الصحة والفراغ من باب الاستعارة التخييلية، وجملة الحديث : ((كثير من الناس)) ، تناسب المشبه ، وهو: النعمة والصحة ، كما تناسب المشبه به المحذوف ، وهو ((التجارة)) ، وعليه تكون الاستعارة مطلقة، بسبب أنّ هذه العبارة السابقة، تناسب وتلائم المشبه، والمشبه به في وقت واحد.

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ٤٣٥/٥ كتاب الرقاق (٤٧).

(٢) ديوان أبي العتاهية : ٤

إن التاجر اللبيب ، مَنْ يحرص على ربح تجارته، لأنها رأس ماله. لذا تجده دائما يتعهدها ويراقبها، ويحسن التصرف في خدمتها ورعايتها، وكذلك شأن الصحة والفراغ بالنسبة للإنسان، فهما رأس ماله ، فعليه أن يستفيد من صحته وفراغه لطاعة الله ، فالدنيا – بما تشتمل عليه من صحة وفراغ – مزرعة للآخرة ، لذا مطلوب من الإنسان أن يحافظ على هاتين النعمتين ، لكي يربح في دنياه وآخرته.

وقوله عليه السلام : كثير من ((الناس)) ، يشير إلى أن مَنْ لا يوفق في الاستفادة من نعمتي الصحة والفراغ ، هم الكثير من الناس ، وهذا ملحوظ في كتاب الله عز وجل ، حيث إنك تجد الكثير منهم لا يشكر، ولا يعقل ، ولا يعلم.

قال تعالى : ((ولا تجد أكثرهم شاكرين))[1].

وقال تعالى : ((بل أكثرهم لا يعقلون)) [2].

وقال تعالى : ((بل أكثرهم لا يعلمون))[3].

فالذي يستعمل صحته وفراغه في طاعة الله، فهو المغبوط، والذي يستعملها في معصية الله ، فهو المغبون[4]. فالغبن كل الغبن ، أن تجتمع الصحة والفراغ لإنسان ما ، ثم يقصّر في عدم الاستفادة منهما، لذا تفوته الفضائل الحميدة ، وتضيع عليه المحاسن الجليلة التي توصله إلى طاعة الله ،– عز وجل–.

إنّ التجارة الرابحة، والغنيمة الباقية، إنما تكون في استغلال نعمتي الصحة والفراغ في رضى الله وطاعته، قبل المرض والانشغال.

---

(١) الأعراف : من الآية :١٧.

(٢) العنكبوت : من الآية :٦٣.

(٣) النمل : من الآية :٦١

(٤) انظر: فتح الباري : ٢٣٠/١١ ، وانظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ٢٣٦/٩.

الخاتمة

لقد تجول الفكر، مع متعة البيان النبوي في أحاديث ثلاثة . تتضمن معنى الزهد والقناعة

فالأول منها، يتحدث عن نعم ثلاثة: نعمة الأمن في الوطن ، ونعمة المعافاة في الجسد، ونعمة القوت اليومي، وكلها نعم دنيويّة وهو قوله عليه السلام : ((من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)).

أما الحديث الثاني ، فهو قوله عليه السلام: ((الدنيا سجن المؤمن ، وجنّة الكافر))، حيث يشير هذا الحديث إلى أنّ الدنيا سجن بالنسبة للمؤمن ، وجنّة بالنسبة للكافر، وذلك لما أعد الله لكل منهما في الآخرة. فالمؤمن أعدت له جنات النعيم، والكافر أعدت له نيران الجحيم.

أما الحديث الثالث ، فهو قوله عليه السلام: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ))، حيث يشير الحديث إلى خسارة الإنسان في نعمتين: هما الصحة والفراغ، فالتجارة الرابحة، إنما تكون في استغلال نعمتي : الصحة والفراغ في طاعة الله ورضوانه، قبل أن يصاب الإنسان بالمرض والانشغال.

لقد غلب طابع الإيجاز المحكم على الأحاديث الثلاثة التي درست بلاغيا، مع سهولة ألفاظها، ووضوح معانيها.

وفي الختام ، فإنني لا أزعم أنني قد أحطت بأسرار البيان النبوي، فهذا سبيل لاأحد يدعيه، بل إني قد بذلت جهدي المستطاع، الذي أرجو من الله ، أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأجوبة المسكتة، إبراهيم بن عبدالله الحازمي، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط/٥، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - شهاب الدين القسطلاني، وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٤. أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، عباس أبو السعود، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.

٥. أسرار العربية، للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد الأنباري، ت / محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.

٦. أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج، عبد الرقيب حامد، مكتبة أسامة، تعز، اليمن، دار الروائع، دمشق، سوريا، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م.

٧. الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني، شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، ط/٤، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة- بيروت - لبنان.

٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المكتبة العلمية، بيروت -لبنان.

١٠. البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د/ فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع ط/٢، ١٤٠٩ -١٩٨٩م.

١١. تحفة المريد على جوهرة التوحيد، برهان الدين إبراهيم الباجوري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة - الإسكندرية، ط/١، ٢٠٠٢م.

١٢. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، بيروت، دمشق ط/١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

١٣. تفسير أبي السعود المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد االعَمادي، دار المصحف، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة، ودار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١٤. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف (أبي حيان الأندلسي) ت/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط/١، ١٤٢٢- هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥. تفسير التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٦. تفسير القرآن العظيم، لأبي الغداء إسماعيل بن كثير، تقديم : عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، مكتبة دار السلام، الرياض ، ط/١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

١٧. التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط / ٢ ، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

١٨. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل ، للزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر) ، طهران.

١٩. تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت/ عبد السلام هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار التوفيق للطباعة ، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٢٠. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني ، المكتبة العصرية صيدا، بيروت ، ط /١١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢١. الجامع الصحيح / سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، ت/ عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر ، ط/٣، ١٣٩٨- ١٩٧٨م.

٢٢. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد الحنبلي البغدادي، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان.

٢٣. الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي، ت / د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم الفاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط / ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٤. الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، ت / محمد علي النجار ، ط /٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت– لبنان.

٢٥. دلالات الأفعال في علم التصريف، د. إبراهيم محمد أحمد الإدكاوى، ط/٢، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
٢٦. ديوان أبي العتاهية، شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط/١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٧. سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن ، د. عودة الله منيع القيسي، دار البشير ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، عمان - الأردن ، ط / ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٨. سنن ابن ماجة ، ت / د . محمد مصطفى الأعظمي ط/٢ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م ، شركة الطباعة العربية السعودية.
٢٩. سنن أبي داود ، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية.
٣٠. شروح التلخيص / عروس الأفراح ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر.
٣١. صحيح البخاري ، إشراف محمد توفيق عويضة ، ط / ١ ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م، لجنة إحياء كتب السنة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة.
٣٢. صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ، دار إحياء الكتب العربية ، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، ط /١ ، ١٣٧٤ -هـ - ١٩٥٥م ، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣٣. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر - بيروت - لبنان ، ط/٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م.
٣٤. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.
٣٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبويب: محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق.
٣٦. الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري، ت / حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.
٣٧. فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ، نور الدين بن نعمة الله الحسيني، ت / د . محمد رضوان الداية، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض ، ط/١ ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

٣٨. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، مكتبة المعارف – بيروت.

٣٩. كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط/١ ، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م.

٤٠. الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، مقابلة د/ عدنان درويش ، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط /١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

٤١. لا تحزن، د/ عائض عبدالله القرني، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٤٢. لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن بكر بن منظور ، دار صادر ، بيروت.

٤٣. لطائف قرآنية ، د / صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق ، بيروت ، ط /١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٤٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، ت / عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٤٥. المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيابوري، دار المعرفة- بيروت – لبنان ط/١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٤٦. معاني الأبنية في العربية ، د/ فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، ط / ١، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.

٤٧. معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ت / نديم مرعشلي، دار الفكر ، بيروت ، دار الكاتب العربي.

٤٨. المعجم المفصل في النحو العربي، د/ عزيزة فوّال، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، دار الكتب المصرية.

٥٠. المعجم الوسيط ، د.إبراهيم أنيس وآخرون، ط/٢ ، ١٣٩٢ هـ -١٩٧٢م، مجمع اللغة العربية.

٥١. المغني في تصريف الأفعال ، د/ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث ، ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢م.